الاتجاه الإسلامي في الشعر العربي المعاصر

١٩٤٨ - ١٩٧٣م

د. محمد حسن عبدالله
- مصر -

لاتزال المساحة المشتركة، بل المنابع المشتركة بين تجليات العقيدة الدينية وتجليات الإبداع الفني يلفها الغموض، وقد يجتنبها الباحثون، وبخاصة لما تستدرج الباحث فيها إلى مواقع لايؤمن فيها الزلل. أما هذا الباحث المفعم النفس بالثقة والإيمان والوعي بمطالب الفن الشعري: السيد/ ياسر أحمد صفوت حشيش، فقد آثر أن يعكف على هذا الموضوع تحت عنوان: "الاتجاه الإسلامي في الشعر العربي المعاصر"

مقيداً بحثه بفترة زمنية (١٩٤٨- ١٩٧٣م) شديدة الحيوية والتقلب والتداخل مع السياسة والأحداث الكبرى في الوطن العربي. وربما كانت هذه العوامل ذاتها توشك أن تشغل الباحث عن تركيز اهتمامه في فن الشعر والعناية بأسرار الصناعة، ولكن تمكنه من المعرفة بأصول النقد، واستمساكه بصحة المنهج والخطة الموضوعة حافظا على السمت البحثي الأدبي الخالص للدراسة الفنية إلاّ قليلاً دفعت إليه مثالية الشباب وحماسة المؤمن.

وقد تحققت الدراسة في بابين كبيرين أولهما بمثابة عرض وتعريف، وثانيهما تفصيل في الملامح، وتبيين للخصائص، ونقد وعرض على الأشباه والنظائر، وتأصيل يعتمد القياس على أسس الفن الشعري، واسترجاع مأثور التراث العربي والإنساني.

لقد اهتم الباحث بالجانب الزمني في تقصي ظاهرة الشعر الإسلامي، ولم يحاصر هذا الشعر في وعائه الفكري الخاص، فقد ظل - في تصوره وفي دراسته شريحة تساوق وتمازج تيارات الشعر العربي في إطارها الشامل، كما تحقق هذا التصور الشمولي على مستويين آخرين: فالباحث لم يقصر دراسته على الشعراء المصريين، أو على الشعراء المشاهير، وإنما اتسع تقصيه إلى احتواء شعراء الوطن العربي في كافة أقاليمه، وكان هذا مناسباً تماماً لتأكيد عمل وحدة المعتقد في توجيه موهبة الشاعر. كما أن الباحث لم يتوقف - في انتقاء النصوص ومعالجة القضايا - عند حدود ماهو "إسلامي" بما يدل عليه هذا الانتساب بحرفيته.. ولهذا جاءت الرؤية ذات طابع فني جمالي إنساني. وإن قيدت باختيارات شعراء عرفوا بهذه النزعة الإسلامية.

لقد بدأ الباحث - في تمهيده - بطرح مفهوم "الاتجاه الإسلامي"، وكذلك أغنى دراسته الجادة بعرض ومناقشة الكثير من المفاهيم التي قد لايطالبه عنوان بحثه بإطالة الوقوف عندها، ولكن حرصه عليها كان يكشف دائماً عن الشاعر معارفه، ومواجهته للجوانب النظرية، وتأسيس الوعي النقدي، وقد فعل هذا في سياقات مختلفة من بحثه المستفيض (٦٠٠صفحة)

- فعرض لمفهوم شعر المناسبات، ومفهوم الالتزام، والتطور والتجديد، وموسيقى الشعر، وغير ذلك. كما حقق في دراسته فضيلة التحرر من الإعجاب بالأقوال المشهورة، والتسليم بالأفكار المستقرة السابقة، من ثم استطاع أن يناقش كبار نقادنا في كثير من آرائهم، وأن يكشف عن فروق رهيفة بين مصطلحات النقد المتداولة كما جاءت من الغرب، وهذه المصطلحات ذاتها كما ينبغي أن تكون عليه في مفهوم الاتجاه الإسلامي، ونشير بخاصة إلى مصطلح "الواقعية". وفي الدراسة الفنية ظهرت قدرة الباحث على الإفادة من الاتجاهات الحديثة والحداثية في النقد وتطبيقها على قصائد انتخبها وأجاد اختيارها لتكون بمثابة علامات إرشادية على طبيعة الشعر من منطلقاته الإسلامية، ولتؤكد أن الوعي الديني أو الانتماء الديني لا يكون قيداً على حرية

الشعور، وحرية التجريب، وإلى حد كبير - حرية التصور. على أن الباحث قد دلل - بما لايحتمل الشك - على خبرة واسعة بالعروض في أسسه النظرية، وفي تطبيقاته العملية، وفي مشكلاته واجتهاداته المعاصرة لدى شعراء قصيدة التفعيلة. وقد عقد فصلاً عن التجديد في شكل القصيدة، وفصلاً آخر عن الموسيقى، ولكنه - قبل هذا وبعده - لم يترك بيتاً من شعر استدل به على معنى أو فكرة أو قضية إلاّ وأشار إلى بحره، وما تعرض له البيت من تغيير مقبول، أو غير مقبول حسب طبائع البحور الشعرية، وهنا نشير إلى الغنى والإشباع الواضحين للهوامش التي ذيّل بها صفحات بحثه، حتى لتوشك أن تكون مفاتيح لدراسة أدبية أخرى مقترحة، فما كتبه عن فنون الاستعارة، والمجاز بصفة عامة، والتشبيه، هو تأسيس لمصطلحات بلاغية في منحنى وتطبيق جديدين، وكان هذا التهميش، وهذا التأسيس دليلين على صبره، ورياضته للنص الأدبي الذي هو أساس هذه الدراسة.

وبصفة عامة نلحظ المرونة قرين الشمول في استحضار شعراء الاتجاه الإسلامي، وفي إبراز الأمثلة المختارة وفي عرضها على أسس النقد الأدبي الحديث. لقد عرض لثلاثة وستين ديوانا، ولنحو خمسين شاعرا، وكان وفياً للتعريف بذواتهم، وتوثيق ما اختار من أشعارهم، ومنصفاً عادلاً في إفراد المساحات من بحثه لقصائدهم الجديرة بأن تعرض وتحلل مفردة على أسس جديدة.. ولقد قام الإحصاء في هذه الدراسة بأداء وظيفة منهجية علمية ذات قيمة أعادت الجزء إلى الكل، وبيّنت جانب الخصوصية، وجانب سيطرة الاتجاهات السائدة بعامة على ظاهرة الشعر الإسلامي.

وتمت مناقشة الرسالة من الأستاذين العالمين الجليلين ١ـ د. محمد أبو الأنوار الأستاذ بكلية دار العلوم - جامعة القاهرة والرئيس السابق لقسم الدراسات الأدبية، والأستاذ د.محمد حسن عبدالله الأستاذ بدار العلوم بجامعة القاهرة. فرع الفيوم ورئيس قسم البلاغة والنقد، وقد حصلت هذه الدراسة على تقدير «ممتاز» وأشرف عليها الأستاذ د. صلاح رزق من كلية دار العلوم جامعة القاهرة.

الجريح

أحمد يحيى عاكش
- السعودية -

يا لائمي في الهوى ما الحب أغنية
معسولة الطرف في ألحاظها خجل
ولا الحنين إلى الأوطان أمسية
تهمي القوافي بها شدوا وتنفعل
نار العواطف لا يتلى توهجها
وحرها أي حرف سوف يحتمل
والآه إن سُمِعت في جوف مغترب
فذاك بركانه قد جاء يقتتل
قالوا: الغريب من الدنيا على سعة
منعم من خزامى الأنس يختمل
أما تراه إذا ما حل مرتحل
تعلو عليه ابتسامات وتتصل
به نوى لديار طاب مسكنها
وما لأريافنا في قربه أمل
ناس لماضيه أو جاف لموطنه
لا يعتري الكبر إلا من به خلل
يا ليتهم سهروا ليلي وأنجمه
أو عانقوا رعشاتي حين أرتحل
وليتهم قرؤوا بالعين أمنية
في مائها غانيات الشوق تغتسل
لا النفس منبئة عما بداخلها
وكيف يقوى كلاما من به علل
والعين إن أفصحت عن سرها فدم
به تخضب أحداقي وتكتحل
صدى بنفسي وهل من سامع لصدى
ترتيله في ذرى الخفاق يبتهل
إن يحسدوني فما بالعيش من ترف
أو يهجروني فإني لا أقاثمل
الله يعلم ما أمسى بجانبنا
نحوك آهاتنا صبرا ونغتزل !؟